الهدي النبوي في البناء وعمارة الأرض

محمد حافظ بن سوروني[١]
mohdkhafidz@kuis.edu.my

ملخص البحث:
لقد اهتمَّ الرسول ﷺ دائماً كل ما هو نافع وخير لمصلحة أمته في دنياهم وأخراهم وأمور معاشهم، فأرشدهم إلى ما يرضاه الله تعالى في كل شيء حتى في البناء وعمارة الأرض. فقد روى الأئمة الحفاظ الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة فيما يتعلق بذلك، وهي أحرى بأن تكون ضابطاً ودليلاً للمسلمين في شؤون البناء وعمارة الأرض. فما أحوجهم اليوم إلى مثل هذا الهدي النبوي الشريف خاصة بعد ما طغت عليهم الحياة الدنيوية والسلطة المادية حتى يتفاخر بعضهم على بعض في البنيان ويتسابقون فيه ويتطاولون. وهذا البحث محاولة متواضعة في جمع الأحاديث المتعلقة بقضية البناء وعمارة الأرض، ثم تحليلها في ضوء أقوال السلف الصالح والعلماء المحققين الراسخين.

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى محمد بن عبد الله.

أما بعد! فإن الله ﷻ طبع البشر إلى الاحتياج إلى اللباس ليواري سوءاتهم، والطعام ليقيم أجسامهم، والمسكن ليحميهم من البرد والحر، وقد أرسل - تبارك وتعالى - رُسُله ليرشدوهم في هذه الأمور المعاشية حتى يحققوا ما يرضاه الله تعالى فيها ويصبحوا عباده الطائعين وسعداء في الدارين. ومن رحمته ﷻ لهم أنه جعل هذه الأرض ممهدة لهم ومعبدة، فقال: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ﴾ [هود: ٦١]، ولكن كيف يحققون عمارة الأرض والبنيان فيها بما أمر الله تعالى به؟ وقد وجَّه لنا في ذلك الرسولُ ﷺ بأحاديثه ما يرشدنا إلى تحقيق مرضاة الله تعالى في البناء وعمارة الأرض، فمشى على ذلك صحابته والتابعون لهم

[١] محاضر في قسم القرآن والسنة، الأكادمية الإسلامية، الكلية الجامعية العالمية الإسلامية بسلانجور (ماليزيا).

رضي الله عنهم أجمعين، وكذلك العلماء والصالحون رحمهم الله جميعاً. ومن المعلوم أن العمارة في الإسلام ليست قاصرة على المساكن والمساجد فحسب، بل تشمل كل ما يبنى لمصالح الناس من المدارس والجامعات والدكاكين والأسواق والمستشفيات، بل حتى الحمامات.

ولكن للأسف أن البعض يذهبون بزعمهم إلى ما يُناسب أهوائهم من تشييد الدنيا بالبناء وغيره مما ينافي الحكمة من خلق الكون كله، مع أنَّ النبي ﷺ قد حذر أمته من الدنيا والركون إليها والاطمئنان بها؛ لأنها دارُ تنقُّلٍ ودارُ فناءٍ وزوالٍ وليست دار إقامة وبقاء، وأخبرهم أن لهم داراً غير هذه، إنما خلقوا لها و لم يخلقوا لهذه الفانية التي أعمارهم فيها قصيرة يقطعها عليهم الموت الذي لا يترك أحداً مخلداً فيها. فدار المقامة والخلود والنعيم المقيم الأبدي السرمدي أمامهم إن أطاعوه.[1]

وفي هذا البحث عرض وتقديم لتلك الأحاديث والآثار التي وردت في البناء وعمارة الأرض، فهو يشمل على أربعة مطالب، يختص المطلب الأول منه بتعريف البناء وحاجة الإنسان إليه، والمطلب الثاني يعرض ما ورد من الأحاديث في هذا الموضوع، والمطلب الثالث يحلّل ما ورد في تلك الأحاديث من المسائل والأحكام، أما المطلب الرابع الذي هو الأخير فهو يعرض صوراً وصفية حية لبيوت النبي ﷺ وأصحابه ﷺ.

المطلب الأول: تعريف البناء وحاجة الإنسان إليه:

قال الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) في القاموس: "البَنْي: نقيض الهدم، بناه يبنيه بنياً وبِناء وبُنياناً وبِنية وبِناية، وابتناه وبنَّاه. والبناء: المبني جمع: أبنية وجمع جمعها: أبنيات. والبنية بالضم والكسر: ما بنيتَه، وهي جمع: البِنى والبُنى. وتكون البناية في الشرف[2]. والبناء أعم من أن يكون بطين أو مدر، أو بخشب أو من قصب أو من شعر".[3]

أما عن صناعة البناء وحاجة الإنسان إليه، فقال العلاّمة ابن خلدون في مقدمته: "هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضري وأقدمها، وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى للأبدان في المدن؛ وذلك أن الإنسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب أحواله،

[1] عيوب تشييد البناء في دار الفناء: لعبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم الحميد، ص٦.

[2] القاموس المحيط: للفيروزآبادي، ص ١٦٣٢.

[3] فتح الباري: للحافظ ابن حجر، ج١١، ص ٩٢.

لا بد له أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحر والبرد، كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها.

والبشر مختلفون في هذه الجبلة الفكرية التي هي معنى الإنسانية، فالمقيدون فيها، ولو على التفاوت، يتخذون ذلك باعتدال. وأما أهل البدو فيبعدون عن اتخاذ ذلك، لقصور أفكارهم عن إدراك الصنائع البشرية، فيبادرون للغيران والكهوف المعدة من غير علاج. ثم المعتدلون والمتخذون البيوت للمأوى قد يتكاثرون فتكثر بيوتهم في البسيط الواحد، بحيث يتناكرون ولا يتعارفون فيخشى من طروق بعضهم بعضاً بياتاً، فيحتاجون إلى حفظ مجتمعهم بإدارة سياج الأسوار التي تحوطهم. ويصير جميعها مدينة واحدة ومصراً واحداً يحوطهم فيها الحكام بدفاع بعضهم عن بعض. وقد يحتاجون إلى الاعتصام من العدو ويتخذون المعاقل والحصون لهم ولمن تحت أيديهم. وهؤلاء مثل الملوك ومن في معناهم من الأمراء وكبار القبائل.

ثم يختلف أحوال البناء في المدن، كل مدينة على ما يتعارفون ويصطلحون عليه، ويناسب مزاج أهوائهم واختلاف أحوالهم في الغنى والفقر، وكذا حال أهل المدينة الواحدة، فمنهم من يتخذ القصور والمصانع العظيمة الساحة المشتملة على عدة الدور والبيوت والغرف الكبيرة لكثرة ولده وحشمه وعياله وتابعه، ويؤسس جدرانها بالحجارة ويلحم بينها بالكلس، ويعالي عليها بالأصبغة والجص، ويبالغ في كل ذلك بالتنجيد والتنميق، إظهاراً للبسطة بالعناية في شأن المأوى. ويهيء مع ذلك الأسراب والمطامير لاختزان أقواته، والاصطبلات لربط مقرباته إذا كان من أهل الجنود وكثرة التاج والحاشية، كالأمراء ومن في معناهم. ومنهم من يبني الدويرة والبيوت لنفسه وسكنه وولده لا يبتغي ما وراء ذلك، لقصور حاله عنه واقتصاره على السكن الطبيعي للبشر. وبين ذلك مراتب غير منحصرة"[1].

المطلب الثاني: ما ورد في البناء من أحاديث النبي ﷺ وهديه فيه:

لقد اهتمَّ الأئمة المحدِّثون بقضية البناء في دواوينهم، فعقدوا فيها باباً في ما جاء في البناء، مثل الإمام البخاري (ت٢٥٦هـ) في "جامعه الصحيح" وفي كتابه "الأدب المفرد"، والإمام أبي داود (ت٢٧٥هـ) في "سننه" و"مراسيله"، والإمام الترمذي (ت٢٧٩هـ) في "جامعه"، والإمام ابن

[1] المقدمة: لابن خلدون، ج٢، ص ١٠٣، بتصرف يسير.

ماجه (ت٢٧٣هـ) في "سننه"، والإمام ابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ) في كتابه "قصر الأمل"، والإمام البيهقي (ت٤٥٨هـ) في "شعب الإيمان"، وغيرهم في غيرها من الكتب. فنورد فيما يلي ما جاء في البناء من الأحاديث النبوية الشريفة لنستضيء ونستهدي بها في الأمور البنائية وعمارة الأرض:

١- جواز توسعة المسكن:

وقد رغَّب الرسول ﷺ في سعة البيت، وذلك فيما رُوي عن نافع بن عبد الحارث ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ: الْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيُّ**».[١]

وعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقَّاص، عن أبيه، عن جدِّه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ: الْجَارُ السُّوءُ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ الضِّيقُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ**».[٢]

ففي الحديث ذِكر أسباب السعادة وأسباب الشقاوة، فمن أنعم بأسباب السعادة فعليه بالشكر لله تعالى، ومن ابتُلي بأسباب الشقاوة فعليه بالصبر والدعاء، فعن اليسع بن المغيرة عن أبيه: عن خالد بن الوليد ﷺ أنه شكا إلى رسول الله ﷺ الضيق في مسكنه فقال: «**ارْفَعْ إلى السَّمَاءِ وَسَلِ اللهَ السَّعَةَ**».[٣]

---

[١] أخرجه أحمد في مسنده (برقم ١٥٣٧٢)، والبخاري في الأدب المفرد (برقم ٤٥٧)، والحاكم في المستدرك (برقم ٧٣٠٦)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي فى شعب الإيمان (برقم ٩٥٥٨)، وقال البوصيري في "إتحاف الخيرة المهرة" (٢٦/٤): "رواه مسدَّد وابن أبي شيبة, وعبد بن حميد بسند رجاله ثقات".

[٢] أخرجه ابن حبان في صحيحه (برقم ٤٠٣٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣٨٨/٨)، والبيهقي فى شعب الإيمان (رقم ٩٥٥٦)، وقال محقِّق "صحيح ابن حبان" الشيخ شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط البخاري". (المركب الهنيء): الدابة السريعة .

[٣] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (برقم ٣٨٤٢)، والخطيب البغدادي، وابن عساكر من طريق الخطيب (٦٨/٦٠) عن اليسع بن مغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث عن أبيه، وقال الخطيب: "في اليسع هذا نظر، وقد ذكر الزبير بن بكار في كتاب النسب أولاد المغيرة هذا، فلم يذكر فيهم من اسمه اليسع، والله أعلم". قال الهيثمي (١٦٩/١٠): "رواه الطبراني بإسنادين، وأحدهما حسن". ورمزه السيوطي في الجامع الصغير

ومعنى المسكن الواسع هو ما يحتاج إليه مما لا بد منه من محل للقاء الضيوف، ومحل للمبيت، ومحل لقضاء الحاجة، ومحل للطبخ، ومحل لتناول الطعام والشراب، ومحل للخزائن والأدوات، ومحل للمركب، وغير ذلك من الضروريات، لكن لا يعني ذلك أن يبالغ المسلم في السعة حتى يبني ما فوق الحاجة ويقع في التبذير. قال العلاَّمة عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ): "وفيه إلماح بكراهة ضيق المَنْزِل، ومن ثم قال الحكيم: المنازل الضيقة العمى الأصغر، لكن لا يبالغ في السعة، بل يقتصر على ما لا بد منه مما يليق به وبعياله، لخبر: «**كُلُّ بِنَاءٍ وَبَالٌ عَلَى صَاحِبِهِ يومَ القِيَامَةِ إلاَّ مَا لاَ بُدَّ مِنْهُ**»"[1].

٢- ذمّ التطاول في البنيان:

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن تطاول الناس في البنيان من أشراط الساعة، كما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتطاوَلَ النَّاسُ فِي البُنْيَانِ**»[2].

وفي حديث جبريل المشهور عن الإسلام والإيمان والإحسان عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه قال: قال جبريل للنبي ﷺ: **فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ**، قال: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**» قال: **فَأَخْبِرْنِي عن أَمَارَتِهَا**، قال: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ**

بالضعف. وقال العراقي: في سنده لين. وحاول المناوي انتصار قول الهيثمي، وفيه ما فيه. وأورد السيوطي الحديث في الجامع الصغير والجامع الكبير بلفظ: ارفع البنيانَ إلى السماءِ واسألِ اللهَ السَّعَةَ. قال المناوي في فيض القدير: الحديث: ارفع البنيان، هو ما في خط المصنف، لكن لفظ رواية الطبراني فيما وقفت عليه من نسخ المعجم: ارفع يديك إلى السماء.اهـ وأما لفظ أبي داود في مراسيله (٤٦٤) عن اليسع بن المغيرة، قال: شكا خالد بن الوليد إلى النبي ﷺ ضيق مترله، فقال: «اتسع في السماء». وإن صح هذا، فإنه أشار إلى عادة الرسول صلى الله عليه وسلم مع من شكا إليه بأن يصرف نظره من النفع الدنيوي الفاني إلى النفع الأخروي الباقي، ويرغبه في الصبر والزهد والثقة بوعد الله عزّ وجلّ، والله أعلم.

[1] فيض القدير للمناوي، ج١، ص ٦٠٩.

[2] أخرجه البخاري في الأدب المفرد (برقم ٤٤٩) مختصراً هكذا، وأخرجه في صحيحه في كتاب الفتن (برقم ٧١٢١)، بطوله.

الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قلتُ: اللهُ ورسوله أعلَمُ، قال: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**».[١]

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ) في شرح هذا الحديث: "والمراد: إن أسافل الناس يصيرون رؤساءهم، وتكثر أموالهم، حتى يتباهون بطول البنيان وزخرفته وإتقانه"[٢].

وفي هذا الحديث ذمّ لمن تطاول في البنيان، ولا يصرح في ذم تطويل البنيان. قال الإمام النووي (ت٦٧٦هـ): "فإنه ليس كل ما أخبر ﷺ بكونه من علامات الساعة يكون محرماً أو مذموماً، فإن تطاول الرعاء فى البنيان، وفشو المال، وكون خمسين امرأة لهن قيِّم واحد، ليس بحرام بلا شك، وإنما هذه علامات، والعلامة لا يشترط فيها شيء من ذلك، بل تكون بالخير والشر والمباح والمحرم والواجب وغيره، والله أعلم"[٣].

ومعنى «يَتَطاوَلُونَ فِي البُنيَانِ» أي: يتفاضلون في ارتفاعه وكثرته ويتفاخرون في حسنه وزينته.[٤] فهو ذمّ صفة سكانه من التفاخر والتباهي والتكاثر والخيلاء والتكبر على الناس، وهي صفة مذمومة تعم كثيراً من الناس في آخر الزمان. ولم يصرح في ذم تطويل البناء، وقد يجوز تطويل البناء لحاجةٍ، بل قد يجب إن ترتب على تركه مفسدة بنحو اطلاع الفسقة على امرأته أو بناته مثلاً، أو بنحو ضيق المكان ببلدٍ لزيادة السكان فيه. وقال الشيخ أبو بكر عثمان بن محمد شطا البكري الدمياطي (ت١٣١٠هـ): "إن الذم لمن فعله لأجل الخيلاء والتكبر على الناس، أما إذا كان لا لأجل ذلك، فلا يمنع من الزيادة المذكورة – أي تطويل البناء –"[٥]، فالمذموم هو البناء للتباهي، لا للسكن.

---

[١] أخرجه أحمد في مسنده (رقم ٣٦٧)، ومسلم في صحيحه (رقم ٨)، وأبو داود في سننه (رقم ٤٦٩٥)، والترمذي في سننه (رقم ٢٦١٠)، وابن ماجه في سننه (رقم ٦٣) وغيرهم. وروي أيضاً من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ إِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ البَهْمِ فِي البُنْيَانِ» رواه البخاري معلقاً ومسلم بتمامه.

[٢] جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب (١٣٧/١).

[٣] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي، ج١ ص ١٥٩.

[٤] تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: للمباركفوري، ج ٧ ص ٢٩٢.

[٥] إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين: للدمياطي، ج ٤، ص ١٢٣.

فتلزمه مع ذلك مراعاة حقوق الجار، فعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قلت: يا رسول الله! ما حقُّ جاري عليَّ؟ قال: «**إنْ مَرِضَ عُدْتَه، وإنْ مَاتَ شَيَّعْتَهُ، وإنْ استَقْرَضَكَ أقْرَضْتَهُ، وإنْ عُرِيَ سَتَرْتَهُ، وإنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَيْتَهُ، وإنْ أصَابَتْهُ مُصِيْبَةٌ عَزَيْتَهُ، وَلاَ تَرْفَع بِنَاءَكَ فَوقَ بِنَائِهِ فَتَسُدُّ عَلَيْهِ الرِّيْحَ، وَلاَ تُؤْذِهِ بريْحِ قِدْرِكَ إلاَّ أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْهَا**»[1].

وفي هذا الخبر دليل على معرفة رسول الله ﷺ بهندسة البناء، وقد ترجم له الشيخ عبد الحي الكتاني (ت١٣٨٢هـ) في كتابه "نظام الحكومة النبوية" بقوله: "أمره ﷺ في البنآءات أن تكون على مقتضى القواعد الصحية"[2].

٣- كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة:

إنَّ البناء الذي يكون وبالاً على صاحبه إذا كان فوق الحاجة و لم يكن مما يتقرب به إلى الله تعالى كالمسجد ونحوه. فعن أنس بن مالك ﷺ، قال: مرَّ النبي ﷺ بقُبَّةٍ قد بُنِيَتْ فقال: «**مَنْ بَنَى هَذِهِ؟**» فقالوا: فُلانٌ، فقال: «**كُلُّ بِنَاءٍ وَبَالٌ عَلَى صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إلاَّ مَسْجِدًا**»، قال: فبلغ ذلك الرجلَ فهدم القُبَّةَ، فمرَّ بها النبي ﷺ فرآها مهدومةً فأخبر بما صنع الرجل لما بلغه قول النبي ﷺ فقال: «**رَحِمَ اللهُ فُلاَنًا، هَكَذَا وَجَدْتُهُ**».[3]

وأخرجه أبو داود بلفظ أطول منه، أنَّ رسول اللَّه ﷺ خرج يوماً ونحن معه فرأى قُبَّةً مُشرِفَةً فقال: «**مَا هَذِهِ؟**» قال له أصحابه: هذه لفُلانٍ رجلٍ من الأنصار، قال: فسكت وحملها في نفسه حتى إذا جاء صاحبها رسول اللَّه ﷺ يسلِّم عليه في الناس أعرض عنه، صنع ذلك مرارًا، حتى عرف الرجل الغضب فيه والإعراضَ عنه، فشكا ذلك إلى أصحابه، فقال: واللَّهِ إنِّي لأنكر رسولَ اللَّه ﷺ، قالوا: خرج فرأى قُبَّتَك، قال: فرجع الرجل إلى قُبَّته فهدمها حتى سوَّاها بالأرض، فخرج رسول اللَّه ﷺ ذاتَ يومٍ فلم يرها، قال: «**مَا فَعَلَتِ الْقُبَّةُ؟**» قالوا: شكا إلينا

---

[1] أخرجه البيهقي في شعب الايمان (برقم ٩١١٤)، وقال: "إسناده ضعيف". وله شاهد من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه نحوه، وفيه: «وَلَا تَسْتَطِيلُ عَلَيْهِ بِالْبِنَاءِ تَحْجُبُ عَنْهُ الرِّيحَ إِلَّا بِإِذْنِهِ»، أخرجه البيهقي في شعب الايمان (برقم ٩١١٣).

[2] نظام الحكومة النبوية: للكتاني، ج٢، ص ٨٠.

[3] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (برقم ١٠٢٢٣).

صاحبها إعراضك عنه، فأخبرناه، فهدمها، فقال: «**أَمَا إِنَّ كُلَّ بِنَاءٍ وَبَالٌ عَلَى صَاحِبِهِ إِلاَّ مَا لاَ، إِلاَّ مَا لاَ**»، يعني ما لا بدَّ منه.[١]

وقوله: «**إِلاَّ مَا لاَ**»، أي إلا ما لا بد منه مما يستره من الحر والبرد والسباع ونحو ذلك، فإنه ليس بوبال على صاحبه، لحاجة الإنسان للسكنى، بل مطلوب بشرطه؛ وذلك لأن حاجة النفس إلى المسكن كحاجتها إلى المطعم والمشرب والملبس والمركب، فإذا كان البناء مما لا يستغنى عنه، فلا ضير فيه، والحاصل كما في الكشاف: "أن العمارة متنوعة إلى واجب وندب ومباح ومكروه وحرام"[٢].

وقد نهى النبي ﷺ من إضاعة المال، ولكن لم ينه أو يذم فعل ذلك الصحابي من هدم قبته، ولم يأمره بذلك أيضاً، فيدل ذلك على أنه بناها لغرض دنيوي، لا لضرورة أو حاجة إليها، فأضاع ماله فيها، ثم هدمها مع أن الإضاعة حاصلة قبل ذلك، وهذا أحسَنُ تأويل للحديث، وكذلك ما روي عن النبي ﷺ أنه أمر عمَّه العباس بن عبد المطلب ﷺ أن يهدم بناءً له، فلأنه بناه فوق حاجته إليه، فعن أبي العالية أن العباس بن عبد المطلب ﷺ بنى غرفةً فقال له النبي ﷺ: «**اهْدِمْهَا**». فقال: أهدمها أو أتصدق بثمنها؟ فقال: «**اهْدِمْهَا**».[٣]

فالبناء الذي يكون وبالاً على صاحبه هو ما فوق الحاجة، وصاحبه غير محتاج إليه أصلاً، كما روي في حديث: «**مَنْ بَنَى فَوْقَ مَا يَكْفِيهِ كُلِّفَ أنْ يَحْمِلَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[٤]، وفي حديث آخر: «**مَنْ بَنَى بِنَاءً أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ كَانَ عَلَيْهِ وَبَالًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٥].

---

[١] أخرجه أبو داود في سننه (برقم ٥٢٣٧)، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ورواته موثقون الا الراوي عن أنس، وهو أبو طلحة الأسدي، فليس بمعروف، وله شاهد عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه عند الطبراني اهـ. وهو قول رسول الله ﷺ: «كل بنيان وبال على صاحبه إلا ما كان هكذا – وأشار بكفه –، وكل علم وبال على صاحبه إلا مَن عمل به».

[٢] فيض القدير: للعلامة المناوي، ج٥ ص ١٩.

[٣] أخرجه أبو داود في المراسيل (برقم ٤٦٦) والطبراني في الكبير، وهو مرسل جيد الإسناد. وفي رواية: فقال له رسول الله ﷺ: «ألقها» فقال: أو أتصدق، مثل نفقتها في سبيل الله؟ قال: «ألقها» فألقاها.

[٤] أخرجه الطبراني في الكبير (برقم ١٠٢٨٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (برقم ١٠٢٢٧) عن عبد الله بن مسعود ﷺ من رواية المسيب بن واضح، وهذا الحديث مما أنكر عليه وفي سنده انقطاع، كذا في الترغيب والترهيب.

[٥] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، (برقم ١٠٢٢٦).

وقد انتقد هود – عليه السلام – عبث قومه "عاد" بالبنيان، كما في القرآن الكريم: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ [الشعراء: ١٢٨ – ١٣٠]. والعبث بالبنيان: تشييده لمجرد التباهي بالقدرة عليه، قدرة جسمية في بنائه، وعقلية في تصميمه وهندسته، ومالية في الإنفاق عليه، فهو بناء لغير نفع. وفي هذا الانتقاد توجيه إلى أن الجهد والبراعة وإنفاق المال إنما يكون في البناء الضروري المثمر الذي فيه خيرُ الدين، وسدادُ الدنيا،[1] وفي ما قصد ببنيانه التقرب إلى الله تعالى.

٤– عدم إنفاق المال في البنيان بلا حاجة:

وقد زجرنا النبي ﷺ من إنفاق المال في البناء بلا حاجة ولا ضرورة، فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ شَرًّا خَضَّرَ لَهُ فِي اللَّبِنِ والطِّيْنِ حَتَّى يَبْنِيَ**»[2]، وروي عن عليّ بن أبي طالب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا لَمْ يُبَارَكْ لِلْعَبْدِ فِي مَالِهِ جَعَلَهُ فِي الْمَاءِ وَالطِّينِ**»[3].

وعن عطية بن قيس، قال: كان حجر أزواج النبي ﷺ بجريد النخل، فخرج النبي ﷺ في مغزى له، وكانت أم سلمة – رضي الله عنها – موسرة، فجعلت مكان الجريد لبناً، فقال النبي ﷺ: «**مَا هَذَا؟**» قالت: أردتُ أن أكفَّ عني أبصارَ الناس، فقال: «**يَا أُمَّ سَلَمَةَ! إِنَّ شَرَّ مَا ذَهَبَ فِيْهِ مَالُ المَرْءِ المُسْلِمِ: البُنْيَانُ**»[4].

---

[1] بناء المساكن بين الحاجة والترف: لعبد السلام بن برجس العبد الكريم، ص٢.

[2] أخرجه الطبراني في معاجمه الثلاثة بإسناد جيد، وله شاهد من حديث أبي بشير الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال: إذا أراد الله بعبد هوانا أنفق ماله في البنيان. رواه الطبراني في الأوسط، كذا في الترغيب والترهيب. ومعنى خضر بمعجمتين: حسن وزناً ومعنىً.

[3] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (برقم ١٠٢٣٤)، وابنُ أبِي الدُّنيَا في قصر الأمل (برقم ٢٣٢).

[4] أخرجه أبو داود في مراسيله (برقم ٤٦٥). المغزى: مواضع الغزو، وقد تكون الغزو نفسه، والمقصود به هنا الغزوة. الموسر: الغني وذو المال والسعة. اللَّبِن: الطين المضروب الذي يُبْنَى به دون أن يُطبخ.

وامتثالاً في ذلك لهدي النبي ﷺ، فقد تورع بعض السلف من إنفاق المال في بناء أي بنيان كان ماعدا المسجد ونحوه، كما روي عن سفيان الثوري (ت١٦١هـ)، أنه قال: "ما أنفقتُ درهماً في بناءٍ قط".[١]

٥- النفقة في البناء غير مأجورة:

لعلَّ في الأحاديث الآتية بيان العلة لزجر النبي ﷺ من إنفاق المال في البناء بلا حاجةٍ، وهي أن الإنفاق فيه غير مأجور، وهو من المباحات التي لا تؤجر فيها، فعن قيسِ بن أَبي حازم، قال: دخلنا على خَبَّاب بن الأرَتِّ ﷺ نعوده وقد اكتوى سبع كيَّاتٍ، فقال: "إنَّ أصحابنا الذين سلفوا مضَوا، ولم تنقصهم الدنيا، وإنَّا أصبنا ما لا نجد له موضعاً إلاَّ التُّرابَ، ولولا أنَّ النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوتُ به. ثم أتيناه مرةً أخرى وهو يبني حائطاً له، فقال: «**إنَّ الْمُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ إلاَّ فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هَذَا التُّرَابِ**»[٢]. وفي لفظ الترمذي: "لقد تطاول مرضي، ولولا أنِّي سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لاَ تَمَنَّوْا الْمَوْتَ**»، لتمنَّيتُ وقال: «**يُؤْجَرُ الرَّجُلُ فِي نَفَقَتِهِ كُلِّهَا إلاَّ التُّرَابَ**» أَوْ قَالَ: «**فِي الْبِنَاءِ**»". وفي لفظ ابن ماجه: «**إنَّ الْعَبْدَ لَيُؤْجَرُ فِي نَفَقَتِهِ كُلِّهَا إلاَّ فِي التُّرَابِ**» أَوْ قَالَ: «**فِي الْبِنَاءِ**». وفي لفظ الطبراني في الكبير: «**كُلُّ نَفَقَةٍ يُنْفِقُهَا الْعَبْدُ يُؤْجَرُ فِيْهَا إلاَّ الْبُنْيَانَ**»[٣].

ورُوِي عن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**النَّفَقَةُ كُلُّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إلاَّ الْبِنَاءَ فَلَا خَيْرَ فِيهِ**»[٤]، ورُوِي عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ مَعْرُوْفٍ**

---

[١] أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل، (برقم ٣٤٥).

[٢] متفق عليه، وهذا لفظ رواية البخاري (برقم ٥٦٧٢) وأخرجه مسلم الجزء الأول منه فقط. [تعليق د. مصطفى البغا: (اكتوى) في بطنه من الكي، وهو أن تحمى حديدة في النار وتوضع على الجلد موضع الألم. (سلفوا) ماتوا في حياة النبي ﷺ. (مضوا) ذهبوا إلى ربهم سبحانه. (ولم تنقصهم) لم تنقص أجورهم؛ لأنها لم تفتح عليهم ولم يتوسعوا فيها. (أصبنا) حصلنا من المال. (ما لا نجد) أي لا نجد مصرفا له فنصرفه في البنيان].

[٣] أخرجه الترمذي في جامعه (برقم ٢٤٨٣) وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وابن ماجه في سننه، باب في البنَاءِ والخرَابِ (رقم ٤٣٠٢ / ٤١٦٣)، والطبراني في الكبير (برقم ٣٦٤١)، والبيهقي في شعب الإيمان (رقم ١٠٧١٦).

[٤] أخرجه الترمذي في جامعه (برقم ٢٤٨٢)، وقال: "هذا حديث غريب".

صَدَقَةٌ، وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ وأَهْلِهِ كُتِبَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا وَقَى بِهِ المَرْءُ عِرْضَهُ كُتِبَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ، وَمَا أَنْفَقَ المُؤْمِنُ مِنْ نَفَقَةٍ فَإِنَّ خَلَفَهَا عَلَى اللهِ، فَاللهُ ضَامِنٌ، إلاَّ مَا كَانَ فِي بُنْيَانٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ»[١].

ورُوي عن التابعي إبراهيم النخعي (ت٩٦هـ) – رحمه الله تعالى– أنه قال: "البناء كلُّه وبال"، قيل: أرأيتَ ما لا بُدَّ منه؟ قال: "لا أجرَ ولا وِزرَ".[٢] وذهب بعض العلماء إلى أن معنى: «**فِي التُّرَابِ**» أو «**فِي الْبِنَاءِ**»، أي ما لم يقصد به وجه الله تعالى، وقد زاد على ما يحتاجه لنفسه وعياله على الوجه اللائق[٣].

وإن كانت النفقة في البناء غير مأجورة، فإن البناء الذي يبنى لينتفع به الناس يؤجر صاحبه ما داموا ينتفعون به، كمدرسة ورباط ودار للأيتام ونحو ذلك مما بني يُقصد قربة إلى الله تعالى، وقد روي عن معاذ بن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ بَنَى بُنْيَانًا فِي غَيْرِ ظُلْمٍ، وَلاَ اعْتِدَاءٍ، أو غَرَسَ غَرْسًا فِي غَيْرِ ظُلْمٍ، وَلاَ اعْتِدَاءٍ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ جَارٍ مَا انْتَفَعَ بِهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ**»[٤].

٦– عدم إعانة أحد لأحد فِي الْبِنَاء:

وقد أُثر عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما، أنَّه قال: "رَأَيْتُنِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بَنَيْتُ بِيَدِي بَيْتًا يُكِنُّنِي مِنَ الْمَطَرِ، وَيُظِلُّنِي مِنَ الشَّمْسِ، مَا أَعَانَنِي عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ".[٥]

---

[١] أخرجه عبد بن حميد في مسنده (رقم ١٠٨٣)، وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (رقم ٨)، والحاكم في المستدرك (رقم ٢٣١١)، وقال: "هذا حديث صحيح و لم يخرجاه". وقال الذهبي في التلخيص: "عبدالحميد ضعفوه"، والدارقطني (٢٨/٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (رقم ٢٠٩٢١)، وشعب الإيمان (رقم ١٠٧١٢).

[٢] أخرجه الترمذي في جامعه (برقم ٢٤٨٠).

[٣] بناء المساكن بين الحاجة والترف: لعبد السلام بن برجس العبد الكريم، ص٤.

[٤] أخرجه أحمد في مسنده (رقم ١٥٦٥٤)، والطبراني في الكبير (رقم ٤١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (رقم ١٠٧٧٣). قال الهيثمي (٧٠/٤): "فيه زياد بن فائد، ضعفه أحمد وغيره، ووثقه أبو حاتم".

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه (برقم ٦٣٠٢)، وابن ماجه في سننه (برقم ٤٣٠١)، باب فِى الْبِنَاءِ وَالْخَرَابِ. يكنني: يسترني ويصونني.

فذهب بعض الشرَّاح كالحافظ ابن حجر إلى أنَّ ذلك إشارة إلى خفة مؤنته، ومعناه أنه متواضع خفيف المؤونة لا يحتاج في بنائه إلى مساعدة[١].

ويحتمل أنَّ هذا الخبر مرتبط بما تقدم من الحديث الذي يدل على عدم الإجارة والثواب في البناء غير المسجد، ومعرفة الصحابة بذلك، ولذلك أورده الإمام ابن أبي الدنيا في "قصر الأمل" في باب البناء وذمّه،[٢] وأخرج أيضاً عن عيسى بن سنان، قال: كان عمر بن عبد العزيز لا يبني بنياناً، وقال: "سنة رسول الله ﷺ خير من الدنيا وما فيها، لم يبن بنياناً، ولم يضع لبنةً على لبنةٍ، ولا قصبةً على قصبةٍ"[٣]. وقال خبَّاب بن الأرَتِّ ﷺ: "إنَّ أصحابنا الذين سلفوا مضوا، ولم تنقُصهم الدنيا"، أي: لم تنقص أجورهم؛ لأن الدنيا لم تفتح عليهم ولم يتوسعوا فيها.

وكذلك قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "واللَّهِ ما وضعتُ لَبِنَةً على لَبِنَةٍ، ولا غرستُ نخلةً، منذ قُبض النبي ﷺ"، قال سفيان: فذكرتُه لبعض أهلِهِ، قال: واللَّهِ لقد بنى. قال سفيان: قلتُ: فلعله قال قبل أن يبني[٤]. قال الحافظ ابن حجر: "وكلامه يوهم أن في البناء كله الإثم، وليس كذلك، بل فيه التفصيل، وليس كل ما زاد منه على الحاجة يستلزم الإثم، ولا شك أن في الغرس من الأجر من أجل ما يؤكل منه ما ليس في البناء، وإن كان في بعض البناء ما يحصل به الأجر، مثل الذي يحصل به النفع لغير الباني، فإنه يحصل للباني به الثواب، والله ﷻ أعلم"[٥].

ثم قال الحافظ: "قوله: (قال والله لقد بنى)، زاد الكشميهني في روايته: بيتاً، قوله: (قال سفيان: قلت فلعله قال قبل) أي قال: ما وضعت لبنة الخ، قبل أن يبنى الذي ذكرت. وهذا اعتذار حسن من سفيان راوي الحديث، ويحتمل أن يكون ابن عمر نفى أن يكون بنى بيده بعد النبي ﷺ وكان في زمنه ﷺ فعل ذلك، والذي أثبته بعض أهله كان بنى بأمره فنسبه

---

[١] فتح الباري: للحافظ ابن حجر، ج١١، ص ٩٣.

[٢] أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل (برقم ٢٤٦).

[٣] أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل (برقم ٣٣٩).

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه (برقم ٦٣٠٣).

[٥] فتح الباري: للحافظ ابن حجر، ج١١، ص ٩٣.

إلى فعله مجازاً. ويحتمل أن يكون بناؤه بيتاً من قصب أو شعر، ويحتمل أن يكون الذي نفاه ابن عمر ما زاد على حاجته، والذي أثبته بعض أهله بناء بيت لا بد له منه أو إصلاح ما وهى من بيته"[١].

٧- جواز إصلاح البناء:

وإن كان الأمر لا يحتاج إلى بيان إلا أن النبي ﷺ لا يتركنا بلا هدى في جميع الأمور كبيرها وصغيرها، فقد مرَّ حديث قيس بن أبي حازم عن خبَّاب بن الأرَتِّ ﷺ: ثم أتيناه مرةً أخرى وهو يبني حائطاً له، فقال: «**إِنَّ الْمُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ إِلاَّ فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هَذَا التُّرَابِ**»[٢]، ورُوي عن حبة بن خالد وسواء بن خالدٍ أنَّهما أتيا النبيَ ﷺ وهو يعالج حائطاً أو بناءً له فأعاناه[٣].

وعن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما، قال: مرَّ بي رسول اللَّه ﷺ وأنا أُطيِّن حائطًا لي أنا وَأُمِّي، فقال: «**مَا هَذَا يَا عَبْدَ اللَّهِ؟**» فقلتُ: يا رسول اللَّه! شيءٌ أُصلِحه، فقال: «**الأَمْرُ أَسْرَعُ مِنْ ذَلِكَ**». وفي رواية: مرَّ عليَّ رسول اللَّه ﷺ ونحن نعالج خُصًّا لنا وهى، فقال: «**مَا هَذَا؟**» فقلنا: خُصٌّ لنا وهى فنحن نُصلحه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**مَا أَرَى الأَمْرَ إِلاَّ أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ**».[٤]

وفي هذين الحديثين لقد أجاز النبي ﷺ في إصلاح البناء، لكنه في نفس الوقت حضَّ أصحابه على عدم الاعتناء به اعتناء بالغاً، لذلك ترجم الإمام ابن حبان في صحيحه لهذا

---

[١] نفس المرجع.

[٢] متفقٌ عَلَيْهِ، وهذا لفظ رواية البخاري (برقم ٥٦٧٢)، وأخرجه مسلم الجزء الأول منه فقط.

[٣] أخرجه البخاري في الأدب المفرد (برقم ٤٥٣)، ضعفه الألباني.

[٤] أخرجه أحمد في مسنده (برقم ٦٥٠٢)، والبخاري في الأدب المفرد (برقم ٤٥٦). وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في البناء (برقم ٥٢٣٥- ٥٢٣٦). والترمذي في جامعه، كتاب الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل (برقم ٢٣٣٥)، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب فِي الْبِنَاءِ وَالْخَرَابِ (برقم ٤٢٩٩)، أخرجه ابن حبان في صحيحه، فصل في الأمل (برقم ٢٩٩٦) و(٢٩٩٧). الخص: بيت يعمل من الخشب والقصب. وهى: ضعف واسترخى.

الحديث بقوله: "ذكر الزجر عن أن يطول المرء أمله في عمارة هذه الدنيا الزائلة الفانية، وذكر البيان بأن قوله ﷺ: «**الأَمْرُ أَسْرَع مِن ذَلِكَ**»، لم يرد به على البتات"[١].

وقال الملاَّ علي القاري (ت١٠١٤هـ): "والظاهر أن عمارته لم تكن ضرورية، بل كانت ناشئة عن أمل في تقويته أو صادرة عن ميل إلى زينته"[٢]. وقال العلامة شرف الدين الحسين الطِّيبي (ت٧٤٣هـ) رحمه الله: "أي كوننا في الدنيا كعابر سبيل أو راكب مستظل تحت شجرة أسرع مما أنت فيه من اشتغالك بالبناء"[٣]. وقال الشارح: "أي الأجل أقرب من تخرب هذا البيت، أي تصلح بيتك خشية أن ينهدم قبل أن تموت، وربما تموت قبل أن ينهدم، فإصلاح عملك أولى من إصلاح بيتك"[٤].

٨- عدم الاعتناء بتزيين البيوت:

يتبين لنا هذا الهدي بوضوح من الأحاديث الآتية، فعن زيد بن خالد الجُهني عن أبي طلحة الأنصاري قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ تَمَاثِيلُ**». قال: فأتيتُ عائشة - رضي الله عنها - فقلتُ: "إنَّ هذا يُخبرني أنَّ النبي ﷺ قال: «**لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ تَمَاثِيلُ**»، فهل سمعتِ رسول اللَّه ﷺ ذكر ذلك؟" فقالت: "لا، ولكن سأُحدِّثكم ما رأيتُه فعل، رأيتُه خرج في غزاته فأخذتُ نَمَطًا فسترتُه على الباب فلمَّا قدِم فرأى النَّمَط عرفتُ الكراهية في وجهه فجذبه حتى هتكه أو قطعه وقال: «**إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْنَا أَنْ نَكْسُوَ الْحِجَارَةَ وَالطِّينَ**». قالت: "فقطعنا منه وِسادتَيْن وحشوتُهما لِيفًا فلم يَعِب ذلك عليّ"[٥]. وفي رواية أخرى: «**إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْنَا فِيمَا رَزَقَنَا أَنْ نَكْسُوَ الْحِجَارَةَ وَاللَّبِنَ**»[٦].

---

[١] صحيح ابن حبان: بترتيب ابن بلبان الفارسي، ج٧، ص٢٦٢.

[٢] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لملا علي القارئ، ج٩، ص٤٥٩.

[٣] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لملا علي القارئ، ج٩، ص٤٥٩.

[٤] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لملا علي القارئ، ج٩، ص٤٥٩.

[٥] أخرجه مسلم في صحيحه، (برقم ٥٦٤١).

[٦] أخرجه أبو داود في سننه (برقم ٤١٥٥). النمط: نوع من البُسُط رقيق كالقطيفة.

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان لنا سِترٌ فيه تِمثالُ طائرٍ وكان الداخل إذا دخل استقبله فقال لي رسول اللَّه ﷺ: « **حَوِّلِي هَذَا، فَإِنِّي كُلَّمَا دَخَلْتُ فَرَأَيْتُهُ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا**». قالت: "وكانت لنا قطيفة كنَّا نقول علَمُها حرير فكنَّا نلبسها"[١].

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: "قدِم رسول اللَّه ﷺ من سفَرٍ وقد ستَّرتُ على بابي دُرنُوكًا فيه الخيل ذواتُ الأجنحة فأمرني فنزعتُه"[٢].

ورُوي عن علي بن حسين – رضي الله عنهما – مرسلاً: "أنَّ رسول اللَّه ﷺ نهى أن تُستر الجُدُر"[٣].

وعن سفينة أبي عبد الرحمن أنَّ رجلاً أضاف عليَّ بن أبي طالب ﷺ، فصنع له طعامًا، فقالت فاطمة رضي الله عنها: "لو دعونا رسول اللَّه ﷺ فأكل معنا". فدعوه فجاء فوضع يَدَه على عِضادتَي الباب فرأى القِرامَ قد ضُرِب به في ناحية البيت فرجع فقالت فاطمة لعلي: "الحَقْه فانظُر ما رجعه؟"، فتبعتُه فقلتُ: "يا رسول اللَّه! ما رَدَّك؟"، فقال: «**إِنَّهُ لَيْسَ لِي أَوْ لِنَبِيٍّ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتًا مُزَوَّقًا**»[٤].

وقد كره النبي ﷺ تزيين البيوت لما فيه من ذكر الدنيا وإضاعة المال، وقد عقد الإمام البخاري في كتابه "الأدب المفرد" باباً في نقش البنيان، ثم عقبه بحديث المغيرة ﷺ: "أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يَنهَى عَن قِيلَ وقَالَ، وكَثرةِ السُؤالِ، وإِضاعَةِ المالِ، وكان يَنهَى عَن عُقُوقِ الأمَّهَاتِ، وَوَأدِ البَنَاتِ، وَمَنعٍ وَهَات"[٥].

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه (برقم ٥٦٤٣). العلم: ما يجعل فى طرف الثوب كأنه علامة له.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه (برقم ٥٦٤٥). الدرنوك: سِتْر له خَمْل.

[٣] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، (برقم ١٤٥٨٩).

[٤] أخرجه أحمد في مسنده (رقم ٢١٩٧٢)، وأبو داود في سننه (رقم ٣٧٥٥)، والحاكم في المستدرك (رقم ٢٧٥٨)، وقال: "صحيح الإسناد". والطبراني في الكبير (رقم ٦٤٤٦)، والبيهقي فى شعب الإيمان (رقم ١٠٧٣٣). وابن ماجه في سننه (رقم ٣٣٦٠) بنحوه. وأخرجه البيهقي في سننه (رقم ١٤٣٣٨) عن أم سلمة بلفظ: «لا ينبغي لنبي أن يدخل بيتاً مزوقاً». المزوق: المزين. القرام: الستر من صوف ذى ألوان.

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق, باب ما يكره من قيل وقال (برقم ٧٢٩٢)، وفي الأدب المفرد (برقم ٤٦٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأقضية, وكتاب المساجد (برقم ٤٥٨٠).

فهذا من هدي النبي ﷺ في الزينة والبناء، ولكن للأسف أنّ كثيراً من الناس لجهلهم عن ذلك يُنفقون أموالهم في وجوه اللهو واللعب والزينة إنفاقاً هائلاً، فعن كعب بن عِياض ﷺ، قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ**».[1]

كما أنَّ مبالغة الناس في اعتنائهم بتزيين البيوت من علامات قرب الساعة، فعن أبي هريرة ﷺ عنه عن النبي ﷺ قال: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَبنِيَ النَّاسُ بُيُوتاً يُشَبِّهُونَهَا بالمَرَاجِلِ**». قال إبراهيم الخزاعي (ت٢٣٦هـ): يعني الثياب المخططة[2].

وعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّهَا سَتُفْتَحُ عَلَيْكُم الدُّنْيَا حتَّى تُنَجِّدُوا بُيُوتَكُمْ كَمَا تُنَجَّدُ الكَعْبَة**»، قلنا: ونحن على ديننا اليوم؟ قال: "وأنتم على دينكم اليوم". قلنا: فنحن يومئذ خير أم اليوم؟ قال: «**بَلْ أَنْتُم اليَوْمَ خَيْرٌ**»[3]. ومعنى تُنجِّدوا: تزيِّنوا.

وعن محمد بن كعب قال: دُعي عبد الله بن يزيد إلى طعامٍ، فلمَّا جاء رأى البيتَ مُنَجَّدًا، فقعد خارجًا وبكى، قال: فقيل له ما يُبكيك؟ قال: كان رسول الله ﷺ إذا شيَّع جيشاً فبلغ عُقبة الوداع قال: «**أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكُمْ وَأَمَانَاتِكُمْ وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ**». قال: فرأى رجلاً ذاتَ يومٍ قد رقع بُردةً له بقطعة، قال: فاستقبل مَطلِعَ الشمس، وقال هكذا، ومَدَّ يدَيْه – ومَدَّ عفَّان [راوي الحديث] يدَيْه – وقال: «**تَطَالَعَتْ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ**»، أي أقبلت حتى ظننَّا أن يقع علينا، ثم قال: «**أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرٌ أَمْ إِذَا غَدَتْ عَلَيْكُمْ قَصْعَةٌ وَرَاحَتْ أُخْرَى وَيَغْدُو**

---

[1] أخرجه الترمذي في جامعه (برقم ٢٣٣٦)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب".

[2] أخرجه البخاري في الأدب المفرد (برقم ٤٥٩، و٧٧٧)، صححه الألباني. وفي نسخة بلفظ: «يوشُّونها وشي المراحيل» ومعنى «يوشونها» ينقشونها ويصبغونها بأنواع الألوان المختلفة كما تنقش الثياب والفرش، ومعنى:«المراحيل» الثياب المنقوشة بنقوش تشبه رحال الإبل.

[3] أخرجه البزار في مسنده (رقم ٤٢٢٧) والطبراني في الكبير (١٠٨/٢٢، رقم ٢٧٠)، وقال الهيثمي (٢٩١/٨): رجاله ثقات. وروي نحوه عن عبد الله بن يزيد الخطمي، أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٣٢٣/١٠) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير أبي جعفر الخطمي وهو ثقة، والبيهقي في السنن الكبرى (رقم ١٤٥٨٧)، وعن عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ، بأطول منه، أخرجه الترمذي في جامعه (رقم ٢٤٧٦) وقال: هذا حديث حسن غريب، وأبو يعلى في مسنده (رقم ٥٠٢). وعن سعد بن مسعود نحوه، أخرجه هناد في الزهد (رقم ٧٥٩).

أَحَدُكُمْ فِي حُلَّةٍ وَيَرُوحُ فِي أُخْرَى وَتَسْتُرُونَ بُيُوتَكُمْ كَمَا تُسْتَرُ الْكَعْبَةُ»، فقال عبد الله بن يزيد: "أفلا أبكي؟ وقد بقيتُ حتى تسترون بيوتَكم كما تُستر الكعبة"[١].

المطلب الثالث: تحليل لما تقدم من الأحاديث والآثار وبعض الأحكام البنائية:

لقد كره النبي ﷺ بعض أمور المعيشة، لا لذاتها، بل لأسباب مترتبة على ذلك، ومن الأسباب التي كره من أجلها هذا: الاطمئنان إلى لذَّات الدنيا، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكِبيَّ، فقال: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَو عَابِرُ سَبِيلٍ**»[٢]، قال الإمام النووي: "قالوا في شرح هذا الحديث معناه: لا تَركن إلى الدنيا ولا تتَّخذها وطناً، ولا تُحدِّث نفسك بطول البقاء فيها، ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلَّق منها إلاَّ بما يتعلَّق به الغريب في غير وطنه، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله، وبالله التوفيق"[٣]، وقد تقدَّم في حديث عائشة – رضي الله عنها – أن رسول اللَّه ﷺ قال لها لما رأى سِتراً فيه تِمثال طائرٍ: «**حَوِّلِي هَذَا، فَإِنِّي كُلَّمَا دَخَلْتُ فَرَأَيْتُهُ، ذَكَرْتُ الدُّنْيَا**».

إنَّ النبي ﷺ قد علم ما حدث في الأمم السابقة من الانهمال في الدنيا ولذاتها، بل قد أهلك بعضهم بسبب مروقهم وطغيانهم في ذلك، فأراد ﷺ لأمته بما هو أرضى لله تعالى وأرجى لمرضاته، قال الإمام شاه ولي الله الدهلوي (ت١١٧٦هـ): "اعلم أن النبي ﷺ نظر إلى عادات العجم وتعمقاتهم في الاطمئنان بلذات الدنيا فحرم رؤوسها وأصولها، وكره ما دون ذلك؛ لأنه علم أن ذلك مُفضٍ إلى نسيان الدار الآخرة مستلزم للإكثار من طلب الدنيا"[٤].

ثم قال رحمه الله تعالى: "ومنها: التطاول في البنيان وتزويق البيوت وزخرفتها، فكانوا يتكلفون في ذلك غاية التكلف ويبذلون أموالاً خطيرة، فعالجه النبي ﷺ بالتغليظ الشديد، فقال: «**لاَ أَنْفَقَ الْمُؤْمِنُ مِن نَفَقَةٍ إلاَّ أُجِرَ فِيهَا إلاَّ نَفَقَتُهُ فِي هَذَا التُّرَابِ**»، وقال ﷺ: «**إنَّ كُلَّ بِنَاءٍ وَبَالٌ عَلَى صَاحِبِه إلاَّ مَا لاَ، إلاَّ مَا لاَ**»، يعني إلاَّ ما لا بدَّ منه. وقال ﷺ: «**لَيْسَ لِي** – أو

---

[١] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، برقم (١٤٥٨٧)، وله شواهد.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٦٤١٦).

[٣] رياض الصالحين للإمام النووي، ص ١٣٨.

[٤] حجة الله البالغة: لشاه ولي الله الدهلوي، ج ٢ ص ٥١٢.

لَيْسَ لِنَبِيٍّ – أنْ يَدْخُلَ بَيْتاً مُزَوَّقاً». وقال ﷺ: «**إنَّ اللّهَ لَمْ يَأْمُرْنَا أنْ نَكْسُوَ الحِجَارَةَ والطِّيْنَ**»"[١].

وأجاز النبي ﷺ لما لا يستغنى عنه من البناء والعمارة لحاجة الناس إلى ذلك، قال العلاَّمة الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ): "والزيادة في العمارة على الحاجة خلاف الأولى، ورُبَّما قيل بكراهتها، وفي صحيح ابن حبَّان أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ الرَّجُلَ لَيُؤْجَرَ فِي نَفَقَتِهِ كُلِّهَا إلاَّ فِي هَذَا التُّرَاب**»، وفي رواية أبي داود: «**كُلُّ مَا أَنْفَقَهُ ابْنُ آدَمَ فِي التُّرَابِ فَهُوَ عَلَيْهِ وَبَالٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إلاَّ مَا لاَ بُدَّ مِنْهُ**» أي: ما لم يقصِدْ بالإنفاق في البناء به مقصِدًا صالحًا كما هو معلوم، ولا تُكره عمارة لحاجةٍ، وإن طالت، والأخبار الدالَّة على منع ما زاد على سبعة أذرُعٍ، وأنَّ فيه الوعيد الشَّديد[٢]، محمول على مَن فعل للخُيلاء، والتفاخر على الناس"[٣].

وقال الشيخ أبو بكر عثمان بن محمد الدمياطي (ت١٣١٠هـ): "(قوله: ولا تكره عمارة لحاجة، وإن طالت): قال الشيخ علي الشبراملسي: بل قد تجب العمارة إن ترتب على تركها مفسدة بنحو اطلاع الفسقة على حريمه مثلاً. ثم قال: (قوله: للخيلاء) اللام تعليلية متعلقة بفعل: أي فعله لأجل الخيلاء والتكبر على الناس، أما إذا كان لا لأجل ذلك، فلا يمنع من الزيادة المذكورة"[٤].

وقال الشيخ محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت٩٧٧هـ): "الزيادة في العمارة على قدر الحاجة خلاف الأولى. قال في أصل الروضة: ورُبَّما قيل بكراهتها، وصحَّ: «**إنَّ الرَّجُلَ لَيُؤْجَرُ فِي نَفَقَتِهِ كُلِّهَا إلاَّ فِي هَذَا التُّرَابِ**»، قال ابن حِبَّان: معناه لا يُؤجر إذا أنفق فيها فضلًا عمَّا يحتاج إليه من البناء"[٥].

---

[١] نفس المرجع، ج ٢ ص ٥٢٤.

[٢] أشار إلى ما أخرجه ابن أبي الدنيا من رواية عمارة بن عامر: "إذا رفع الرجل بناء فوق سبعة أذرع، نودي: يا فاسق! إلى أين؟"، قال الحافظ ابن حجر في الفتح: في سنده ضعف، مع كونه موقوفاً.

[٣] تحفة المحتاج في شرح المنهاج للعلامة الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي، ج٨، ص ٣٧٣. والحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه، (برقم: ٣٢٤٣)، وقال محقِّقه الشيخ شعيب الأرناؤط: "إسناده صحيح".

[٤] إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين: للدمياطي، ج ٤، ص ١٢٣.

[٥] مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج: للشربيني، ج١٥، ص ١٤٢.

فيستدلّ بما سبق: أنَّ البناء فوق الحاجة فيه إضاعة المال والتبذير، وهو أيضاً باب من أبواب التفاخر والتكبر على الناس. وكان الأولى إنفاقه في وجوه الخير، أو في مساعدة الفقراء والمساكين، وإعانة الضعفاء والمحتاجين. وقد أورد الحافظ البيهقي في "شعب الإيمان" معظم الأحاديث والآثار الواردة في الموضوع في فصلٍ سماه: "في ذمّ بناء ما لا يحتاج إليه من القصور والدور"[١]، وقد نقلتُ بعضاً منها في المطلب الثاني، كما أورد مثلَها الحافظُ المنذري في "الترغيب والترهيب" في بابٍ سماه: "في الترهيب من البناء فوق الحاجة تفاخراً وتكاثراً". وقال الحافظ ابن حجر عن الأحاديث التي وردت في ذم البناء: "وهذا كله محمول على ما لا تمس الحاجة إليه مما لا بد منه للتوطن وما يقي البرد والحر"[٢].

نعم، فقد أجمع العلماء على أنه يلزم كل امرىء تحصيل مسكن له ولمن تلزمه نفقته، فمن حصل مسكناً له ولأهله، فقد سلم من الإثم[٣]، ولكن قد أهمل كثير من المسلمين الهدي النبوي الشريف في قضية البناء وعمارة الأرض، ففي هذين الأثرين ما يشير إلى أن هذا الإهمال كان قديماً، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عون بن عبدالله بن عتبة، أن أبا الدرداء ﷺ لما رأى ما أحدث المسلمون في الغوطة من البنيان، ونصب الشجر، قام في مسجدهم، فنادى: "يا أهل دمشق!" فاجتمعوا اليه، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: "ألا تستحيون، ألا تستحيون، تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتؤملون ما لا تدركون. قد كانت قبلكم قرون يجمعون فيوعون، ويبنون فيوثقون، ويأملون فيطيلون، فأصبح أملهم غروراً، وأصبح جمعهم بوراً، وأصبحت مساكنهم قبوراً. ألا إن عاداً ملكت ما بين عدن وعمان خيلاً وركاباً، من يشتري مني ميراث عاد بدرهمين؟"[٤]، وأخرج ابن أبي حاتم أيضاً في تفسيره عن مجاهد بن جبر (ت١٠٤هـ) حيث قال: "ليس أحد أشبه فِعالاً بعَادٍ من أمَّة محمد ﷺ، قال: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾ [الشعرا: ١٢٨]، فقد واللَّهِ فعلوا"[٥].

---

[١] شعب الإيمان للحافظ البيهقي، فصل في ذم بناء ما لا يحتاج إليه من القصور والدور (من رقم: ١٠٧٠١ – ١٠٧٧٣).

[٢] فتح الباري للحافظ ابن حجر، ج١١، ص ٩٣.

[٣] بناء المساكن بين الحاجة والترف: لعبد السلام بن برجس العبد الكريم، ص٣.

[٤] أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٧٩٩).

[٥] أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٧٩٤). والآية من سورة الشعراء: ١٢٨.

المطلب الرابع: صُوَر من بيوت النبي ﷺ وأصحابه:

وتتميماً للفائدة، أرى أن أسوق في هذا المطلب بعض الصُّوَر التي تصف وصفاً حياً لبيوت النبي ﷺ وأصحابه؛ لنقارن بين ما كانوا عليه وبين ما نحن عليه اليوم. فقد روى الإمام ابن سعد عن عبد الله بن زيد الهُذَلي، قال: "رأيتُ بيوت أزواج النبي ﷺ حين هدمها عمر بن عبد العزيز، كانت بيوتًا باللَّبِن، ولها حُجَرٌ من جريدٍ مطرورةٌ بالطين، عددتُ تسعة أبياتٍ بحُجَرها، وهي ما بين بيت عائشة – رضي الله عنها – إلى الباب الذي يلي باب النبي ﷺ إلى مَنْزِل أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس، ورأيتُ بيت أم سلمة وحجرتها من لَبِنٍ، فسألتُ ابنَ ابنِها، فقال: لما غزا رسول الله ﷺ غزوة دومة بنت أمُّ سلمة حجرتها بلبِنٍ، فلمّا قدِم رسول الله ﷺ نظر إلى اللَّبِن، فدخل عليها أوَّل نسائه، فقال: «**مَا هَذَا البِنَاءُ؟**» فقالت: أردتُ يا رسول الله أن أكُفَّ أبصارَ الناس، فقال: «**يا أُمَّ سَلَمَةَ، إِنَّ شَرَّ ما ذَهَبَ فيه مَالُ المُسلِمِينَ: البُنْيَانُ**»[1].

ورُوي عن معاذ بن محمد الأنصاري، فقال: "سمعتُ عطاء الخراساني في مجلسٍ فيه عمران بن أبي أنس يقول، وهو فيما بين القبر والمنبر: "أدركتُ حُجَرَ أزواج رسول الله ﷺ من جريد النَّخل، على أبوابها المسوح من شَعرٍ أسود، فحضرتُ كتاب الوليد بن عبد الملك يُقرأ، يأمر بإدخال حُجَر أزواج النبي ﷺ في مسجد رسول الله ﷺ، فما رأيتُ أكثر باكيًا من ذلك اليوم". قال عطاء: "فسمعتُ سعيد بن المسيّب يقول يومئذ: والله لوَدِدتُ أنَّهم تركوها على حالها ينشأ ناشئ من أهل المدينة، ويقدَم القادم من الأُفُق، فيرى ما اكتفى به رسول الله ﷺ في حياته، فيكون ذلك مما يُزهِّد الناسَ في التكاثُر والتفاخُر".

قال معاذ: "فلما فرغ عطاء الخراساني من حديثه، قال عمران بن أبي أنس: كان منها أربعة أبياتٍ بلبِنٍ لها حُجَر من جريدٍ، وكانت خمسة أبيات من جريدٍ مُطينةٍ لا حُجَرَ لها، على أبوابها مُسوحُ الشَّعر، ذرعتُ السِّترَ، فوجدتُه ثلاثة أذرُعٍ في ذراعٍ والعظم أو أدنى من العظم، فأما ما ذكرتُ من البكاء يومئذٍ، فلقد رأيتُني في مجلسٍ فيه نفر من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ، منهم: أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وأبو أمامة بن سهل بن حُنَيف، وخارجة بن زيد بن ثابت، وإنَّهم ليبكون حتى أخضل لِحاهُم الدمع، وقال يومئذٍ أبو أمامة: ليتها تُركت

[1] الطبقات الكبرى: لابن سعد، ج١ ص ٤٢٩.

فلم تُهدَم حتى يقصُرَ الناس عن البناء، ويروا ما رضي الله لنَبيِّه ﷺ ومفاتيحُ خزائن الدنيا بيده"[١].

قال العلاّمة السهيلي (ت٥٨١هـ) في الروض الأنف: "وأما بيوته ﷺ فكانت تسعةً، بعضها من جريد مُطَيّنٍ بالطّين، وسقفها جريد"، وقال الحسن بن أبي الحسن: "كنتُ أدخل بيوتَ النبي ﷺ وأنا غُلام مُراهق فأنال السقف بيدي، وكانت حُجَره ﷺ أكسيَة من شَعرٍ مربوطة في خشبٍ عَرْعَرٍ". وفي تاريخ البخاري: "أنّ بابه ﷺ كان يُقرع بالأظافر، أي لا حِلَقَ له"[٢].

وليس فيها أي تزيين لكراهة النبي ﷺ من ذلك، وقد تقدم بيان ذلك، وفيه حديث عائشة –رضي الله عنها – أنها قالت: خرج رسول اللَّه ﷺ في بعض مغازيه، وكنتُ أتحيَّن قُفُوله، فأخذتُ نَمَطًا كان لنا، فسترتُه على العرَض، فلما جاء استقبلتُه، فقلتُ: السَّلام عليك يا رسول اللَّه ورحمة اللَّه وبركاته، الحمد للَّه الذي أعزَّك وأكرمك. فنظر إلى البيت، فرأى النَّمَطَ، فلم يرُدَّ علي شيئًا، ورأيتُ الكراهيةَ في وجهه، فأتى النَّمَطَ حتى هتكه، ثم قال: « **إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْنَا فِيمَا رَزَقَنَا أَنْ نَكْسُوَ الْحِجَارَةَ وَاللَّبِنَ** ». قالت: فقطعتُه وجعلتُه وِسادَتَيْن، وحشوتُهما لِيفًا، فلم يُنكر ذلك عليّ"[٣].

وأما عن سقف داره، فيقول في وصفها – كما تقدم – الحسن البصري ﷺ حيث قال: "كنتُ أدخل بيوتَ أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، فأتناول سقفها بيدي".[٤] فهذا حال بيوته، وقد اقتدى فيه مَن سبقه من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام، روي عن الحسن أيضاً قال: "لما بنى رسول الله ﷺ المسجد قال: «**ابْنُوْهُ عَرِيشاً كَعَرِيشِ مُوْسَى**»". قيل للحسن: وما عريشُ موسى؟ قال: "إذا رفع يده بلغ العريشَ، يعني السقف"[٥].

---

[١] نفس المصدر.

[٢] الروض الأنف للعلامة السهيلي، ج٢، ص٣٣٨.

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه (برقم ٥٦٤١)، وأبو داود في سننه (برقم ٤١٥٥) واللفظ له. العَرض: الخشبة المعترضة يسقف بها البيت ثم يوضع عليها الخشب الصغار. القفول: الرجوع. النمط: نوع من البُسُط رقيق كالقطيفة.

[٤] أخرجه البخاري في الأدب المفرد (برقم ٤٥٠)، وأبو داود في مراسيله (برقم ٤٦٨)، وهو صحيح الإسناد.

[٥] أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل مرسلاً. وله شواهد من حديث أُبي بن كعب، وأبي الدرداء، وحديث عبادة بن الصامت، ومرسل سالم بن عطية ومرسل الزهري ومرسل راشد بن سعد ومرسل أبي جعفر.

ثم تبعه أصحابه ومَن نحا نحوهم، أخرج البخاري في الأدب المفرد عن عبد الله الرومي قال: "دخلتُ على أم طلق فقلتُ: ما أقصر سقف بيتك هذا! قالت: يا بُني! إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ كتب إلى عماله: "أن لا تُطيلوا بناءكم، فإنه من شرِّ أيامكم".[١]

وفي وصف حجرات النبي ﷺ، يقول داود بن قيس: "رأيتُ الحجرات من جريد النخل مُغشَّاة من خارج بمسُوح الشَّعر، وأظن عرض البيت من باب الحجرة إلى باب البيت نحواً من ست أو سبع أذرعٍ، وأحزِر البيت الداخل عشر أذرعٍ، وأظن سُمكَه بين الثمان والسَّبع نحو ذلك، ووقفتُ عند باب عائشة فإذا هو مستقبل المغرب".[٢] وعن ابن أبي فديك أنه قال: "باب عائشة من ساج".[٣]

وقد يوجد طابَق أو دور في بيوت النبي ﷺ وأصحابه، عن دُكَين بن سعيد الْمُزَنِي، قال: أتينا النبي ﷺ فسألناه الطَّعام، فقال: «**يَا عُمَرُ! اذْهَبْ فَأَعْطِهِمْ**» فارتقى بنا إلى عِلِّيَّةٍ فأخذ المفتاح من حجرته ففتح.[٤] وفي قصة مشهورة عن قدوم رسول الله ﷺ المدينة أنَّه ﷺ نزل على أبي أيوب، فنزل النبي ﷺ أسفل وأبو أيوب في العُلُو، فانتبه أبو أيوب ذات ليلةٍ فقال: "نمشي فوق رأس رسول اللَّه ﷺ"، فتحوَّل فباتوا في جانب، فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**السُّفْلُ أَرْفَقُ بِي**»، فقال أبو أيوب: "لا أعلُو سقيفة أنت تحتها"، فتحوَّل أبو أيوب في السُّفل، والنبي ﷺ في العُلُو[٥].

وأخرج البخاري في "الأدب المفرد" عن ثابت أنه كان مع أنس بالزاوية فوق غرفةٍ له فسمع الأذان فنَزل، ونزلتُ فقارب في الخُطا. فقال:" كنتُ مع زيد بن ثابت فمشى بي هذه المشيةَ وقال: أتدري لِمَ فعلتُ بك؟ فإنَّ النبي ﷺ مشى بي هذه المِشيةَ وقال: أتدري لم مشيتُ بك؟ قلتُ: الله ورسوله أعلم. قال: ليكثر عدد خطانا في الصلاة"[٦].

---

[١] أخرجه البخاري في الأدب المفرد (برقم ٤٥٢)، فيه عبد الله وأم طلق، لا يعرفان.

[٢] أخرجه البخاري في الأدب المفرد (برقم ٤٥١)، وأبو داود في مراسيله (برقم ٤٦٧)، وهو صحيح الإسناد. حزر: خمَّن وقدَّر.

[٣] أخرجه أبو داود في مراسيله (برقم ٤٦٩).

[٤] أخرجه أبو داود في سننه (برقم ٥٢٣٨)، وسكت عنه، فهو حسن عنده.

[٥] أخرجه أحمد في مسنده (برقم ٢٣٥١٧)، والطبراني في المعجم الكبير (برقم ٣٩٨٦). قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح".

[٦] أخرجه البخاري في الأدب المفرد (برقم ٤٥٨) بسند ضعيف.

قال الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه "نظام الحكومة النبوية"، المسمَّى "التراتيب الإدارية" عن مساكنه ﷺ: "ثم بنى ﷺ مساكنه إلى جنب المسجد باللبن وسقفهما بجذوع النخل والجريد، وكان محيطها مبنيا باللبن، وقواطعها الداخلة من الحديد والمكسو بالطين والمسوح الصوفية، وجعل لها أبواب منافذ متقنة الهواء داعية الى السهولة في الدخول والخروج وخفة الحركة مع وفر الزمن والسرعة الى المقصد. وكان مَنْزِل السيدة عائشة صفة الى مَنْزِل السيدة فاطمة، وكان به فتحة الى القبلة، يؤيد ذلك قول ابن زبالة: كان بين بيت حفصة ومَنْزِل عائشة طريق، وكانتا تتهاديان الكلام وهما في مَنْزِلهما من قرب ما بينهما، وكان بيت حفصة على يمين خوخة آل عمر في جنوب بيت عائشة الى الشرق، وكان من دونهما منازل بقية الأزواج الطاهرات، وكان بمَنْزِل فاطمة شباك يطل على مَنْزِل أبيها، وكان ﷺ يستطلع أمرها منه"[١].

وقال أيضاً: "إذا علمت أنها تسعة، وأن كل بيت لا بد له من محل لقضاء الحاجة، ومحل لمئونة السنة والطبخ، ومحل للقاء الناس، ومحل لمبيت النبي ﷺ مع زوجته الطاهرة وإن زدتها محل خزائن السلاح وأدوات النقل، ومحل الدواب والخيل والنعم والحمير، وغير ذلك من الممتلكات النبوية وممتلكات بيت المال مع دار الضيوف والسجن، ومحل المرضى، ومحل أهل الصفة وغير ذلك من الضروريات، ظهر لك عظم تلك المباني وسعة تلك المرافق. وهذه الضروريات التي يؤدِّي إلى الاتساع في البناء ضروري لها يجعلها أكثر الناس اليوم، ويظنون أن مساكن النبي ﷺ كانت في نهاية الضيق والقلة، ولعمري! إذا أمكنه ﷺ ذلك في المبادي فكيف لا يتسع أكثر من ذلك في آخر أمره، ولو عاش في المدينة بعد الهجرة أكثر من عشر سنوات، وكان يشتغل فيها بغير الحروب وتوجيه البعوث وإرسال السرايا إلى الجهات، انظر ماذا كان يصنع؟"[٢]، وقد تقدَّم حديث: «**مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ: الْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيُّ**».

---

[١] نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية:للكتاني، ج٢، ص٧٨.

[٢] نفس المرجع.

خاتمة:

من خلال هذه الأحاديث والآثار التي أوردها في هذا البحث، تظهر لنا عدة نقاط مهمة تتعلق بالبناء وعمارة الأرض من هدي النبي ﷺ، منها:

- أنه ﷺ رغّب في سعة البيوت بكبر مساحتها بدون مبالغة.
- وأنّه ﷺ ذمَّ لمن تطاول في البنيان؛ لأنه مظنة التفاخر والتكبر والتباهي ومن علامات قرب الساعة وزوال الدنيا، وإن جاز تطويل البناء لحاجةٍ أو ضرورةٍ رفعاً للحرج عن الأمة.
- وأنه ﷺ نهى عن التكلُّف في البناء والتبذير؛ لأنه سيكون وبالاً على صاحبه إذا كان فوق الحاجة و لم يكن مما يتقرب به إلى الله تعالى، وفيه الحثُّ على التزهد والبساطة.
- وأنه ﷺ بيَّن أن النفقة في البناء غير مأجورة، فضلاً عمَّن بناه من غير حاجة أو فوق ما يحتاجه، إلا الذي يُقصد به التقرب إلى الله تعالى ويُبنى لينتفع به الناس.
- وأنه ﷺ ذَمَّ في تزيين البيوت لما فيه من ذكر الدنيا وإضاعة المال، وقد نهى – عليه الصلاة والسلام – عن إضاعة المال وعدم الافتتان به فينفق في غير مرضاة الله ﷻ.

ولنا في بيوت النبي ﷺ وسلفنا الصالح قدوة وعبرة، فإنّ كثرة النصوص في ذمّ البناء إنما هو فرع من النصوص الدالة على ذم الدنيا والنهي عن الركون إليها، والحض على الزهد فيها، فقد حذرنا النبي ﷺ من الدنيا وفتنتها؛ لأنها دار فناء وزوال وليست دار بقاء وإقامة. فدار المقامة والخلود والنعيم المقيم الأبدي أمامنا بطاعة الله واتّباع رسوله. وبعد ما طغت على المسلمين الحياة الدنيوية والسلطة المادية حتى يتفاخر بعضهم على بعض في البنيان ويتسابقون فيه ويتطاولون، فما أحوجهم اليوم إلى هذا الهدي النبوي الشريف ليستنيروا ويستضيئوا به في عيشهم، لعلهم يفوزون بمرضاة الله تعالى والسعادة في الدارين.

والحمد لله رب العالمين.

مصادر ومراجع البحث:

١) **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشر**: للإمام شهاب الدين البوصيري. مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٩٩٨م.

٢) **الأدب المفرد**: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ط: دار البشائر الإسلامية – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة الثالثة: ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٣) **إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين**: للشيخ أبي بكر عثمان بن محمد شطا البكري الدمياطي الشافعي، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوريع، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٤) **بناء المساكن بين الحاجة والترف**: د. عبد السلام بن برجس العبد الكريم، بحث منشور في الإنترنيت.

٥) **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**: للشيخ أبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، ط دار الكتب العلمية – بيروت.

٦) **تحفة المحتاج في شرح المنهاج**: للعلامة شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، ١٣٥٧هـ – ١٩٨٣م.

٧) **الجامع**: للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وغيره، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية: ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

٨) **الجامع الصحيح**: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

٩) **جامع الأحاديث**، من كتب الحافظ جلال الدين السيوطي – تحقيق لجنة تحت إشراف: أ.د. علي جمعة، الناشر: دار الإفتاء المصرية، ٢٠٠٥م.

١٠) **جامع العلوم والحكم**: للحافظ ابن رجب الحنبلي، ط دار ابن كثير: دمشق، ٢٠٠٨م.

١١) **حجة الله البالغة**: للإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ"شاه ولي الله الدهلوي"، راجعه وعلق عليه: الشيخ محمد شريف سكر، ط دار إحياء العلوم – بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

١٢) **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام**: للعلامة أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، ط دار الكتب العلمية: بيروت، دون تاريخ.

١٣) **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**: للإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق علي عبد الحميد أبو الخير، ط دار الخير – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١٤) **السنن**: للإمام أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

١٥) **السنن**: للإمام أبو عبدالله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، ط: دار الفكر – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٦) **السنن الكبرى**: للإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

١٧) **شعب الإيمان**: للإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣ م.

١٨) **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**: للإمام أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان الدارمي البُستي، ترتيب: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

١٩) **الطبقات الكبرى**: للحافظ محمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق: د. علي محمد عمر، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١ م.

٢٠) **عيوب تشييد البناء في دار الفناء**: لأبي محمد عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم الحميد، الناشر: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٥هـ.

٢١) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: للحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، ط: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٢) **فيض القدير**: للعلامة عبد الرؤوف المناوي، ط دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٢٣) **القاموس المحيط**: للعلامة محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ط مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

٢٤) **قِصَر الأمل**: للإمام أبو بكر عبد الله ابن أبي الدنيا، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، ط دار ابن حزم بيروت، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٢٥) **المراسيل**: للإمام أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.

٢٦) **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**: للإمام الملا علي القاري، ط دار الكتب العلمية – بيروت، ط ثانية، ٢٠٠٧م.

٢٧) **المستدرك على الصحيحين**: للحاكم محمد بن عبد الله أبي عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٢٨) **المسند**: للإمام أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٢٩) **المسند:** للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت. الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣٠) **المسند أو البحر الزخار:** الإمام أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، ط مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ٢٠٠٣م.

٣١) **المسند الصحيح:** للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٢) **المعجم الكبير:** للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثا ة، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م.

٣٣) **المقدمة:** للعلامة ابن خلدون، دار يعرب – دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.

٣٤) **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:** للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

٣٥) **نظام الحكومة النبوية** المسمى **التراتيب الإدراية:** للشيخ محمد عبد الحي الكتاني. دار الكتاب العربي – بيروت.